

السينما الثورية عند لخضر حامينا: من تصوير الكفاح إلى التتويج العالمي

The Revolutionary Cinema of Lakhdar Hamina:

From Portraying the Struggle to International Acclaim

عمر ملايني^{*1}¹ المركز الجامعي تيبازة (الجزائر)، melaini.omar@cu-tipaza.dz

تاريخ النشر: 2025/12/10

تاريخ القبول: 2025/11/02

تاريخ الاستلام: 2025/09/15

ملخص: أيقنت القيادة السياسية للثورة الجزائرية، وعلى رأسها عبّان رمضان، بأهمية الصورة كوسيلة مقاومة في مواجهة الاستعمار الفرنسي، الذي كان سبّاقاً إلى توظيف السينما كأداة دعائية لتشويه حقيقة الكفاح الجزائري في الخارج. ويهدف التصدي لهذا الخطاب المضلل، برزت الحاجة إلى إنتاجات أفلام وثائقية تتميز بالمصداقية في طرح القضية الجزائرية ومن بين الذين حملوا الكاميرا كما تُحمل البندقية في الصفوف الأمامية للثورة، يبرز اسم محمد لخضر حمينة، أحد أبرز رواد السينما الجزائرية الثورية، الذي سخّر الصورة لتكون أداة نضالية تعبر عن معاناة الجزائريين وتنقلها إلى العالم. وتُعد تجربته في فيلم ياسمينة الذي أخرجه رفقة جمال شندرلي أنموذجاً حمل هذا التوجه، إذ عُرض الفيلم في أروقة الأمم المتحدة، حيث أخرج فرنسا أمام أنظار الرأي العام الدولي الذي أخذ فكرة عما يحدث فعلاً في الجزائر.

كلمات مفتاحية: السينما؛ السينما الثورية؛ السينما الثورية في الجزائر؛ لخضر حامينا.

Abstract: The political leadership of the Algerian Revolution, led by Abbane Ramdane, realized the importance of the image as a means of resistance against French colonialism, which had been among the first to employ cinema as a propaganda tool to distort the reality of the Algerian struggle abroad. In order to counter this misleading discourse, the need arose for documentary films characterized by credibility in presenting the Algerian cause.

Among those who carried the camera as one would carry a rifle on the front lines of the revolution was Mohammed Lakhdar Hamina, one of the most prominent pioneers of revolutionary Algerian cinema, who devoted the image to serving as a militant tool that expressed the suffering of Algerians and conveyed it to the world. His experience with the film Yasmina, co-directed with Djamel Chandlerli, represents a model of this approach, as the

film was screened at the United Nations, placing France in an awkward position before the eyes of international public opinion, which gained a clearer understanding of what was truly happening in Algeria.

Keywords:

Cinema; Revolutionary Cinema; Revolutionary Cinema in Algeria; Lakhdar Hamina.

*المؤلف المرسل

1. مقدمة:

يعتبر محمد لخضر حمينة من السينمائيين الأوائل الذين تمرسوا أثناء ثورة التحرير في التصوير والإخراج السينمائي، حيث كان يوثق بالكاميرا كفاح الشعب الجزائري ضد الاستعمار الفرنسي، فكانت حرب الصورة معلنة ضد التشويه الذي مارسه الاستعمار من خلال الأشرطة السينمائية، التي نقلت مشاهد تناسب سردية الاحتلال أمام العالم. لم يطلق حمينة الرصاص ضد الجنود الفرنسيين، بل صوب باتجاه الاحتلال 24 صورة في الثانية هزت كيانه عالميا، وفضحت ادعاءاته أمام المجتمع الدولي خاصة في الأمم المتحدة من خلال فيلم "ياسمينة"، وظل يمارس المقاومة الناعمة لدحض سردية الاحتلال التي لجأت إلى الأعمال السينمائية.

وبعد الاستقلال واصل أب السينما الجزائرية في صناعة أفلام عن الثورة، حيث لم ينتظر كثيرا من أجل الصعود إلى منصة التتويج في كان، فبعد أن كان قاب قوسين من التتويج عام 1966 بفيلم ربح الأوراس، عاد بتحفة سينمائية خالدة في الذاكرة السينمائية الجزائرية والعربية حملت عنوان "وقائع سنين الجمر"، حيث تمكن من افتتاح السُّعفة الذهبية أمام مخرجين عالميين في مهرجان كان السينمائي عام 1975

2. السينما الثورية في الجزائر

1.1. مفهوم السينما الثورية :

إذا جئنا إلى تعريف الثورة من منظور العلم الدستوري والسياسي، فإننا نستطيع القول بأنها ذلك التغيير الجذري الذي يحدث في المجتمع ويكون من تأطير جماعة إيجابية – على حد وصف المؤرخ السينمائي الأمريكي دافيد أ كوك - هذا التغيير يكون مؤسس وفق معطيات ويكون هدفه طرح بديل داخل المجتمع.

يحول مصطلح السينما الثورية إلى الانتاجات السينمائية التي تتمحور تيمتها حول الكفاح من أجل التحرر، حيث يتجاوز الفن السابع هنا وظيفته الجمالية والفنية إلى وسيلة للتعبيئة الجماهيرية تهدف الى تشكيل الوعي الجمعي حول قضية وطنية عادلة تكون غالبا ضد قوى استعمارية أو قمعية داخلية.

" الكاميرا وخلال حرب التحرير وقبل الانعتاق بكثير قد استعملت ليس بغرض التسلية أو اللهوبل للتعريف بالكفاح الذي يخوضه شعب قرر التخلص نهائيا من نير الاستعمار، أصبحت الكاميرا فعلا أداة حرب وربما أكثر فعالية من البندقية في حد ذاتها " (مغربي، 2022 صفحة 192)

وقد تم إنتاج هذه الأفلام في سياق الثورة مما يجعل مهمتها إيديولوجية تهدف إلى شرعنة النضال وخدمته على المستوى الداخلي والخارجي، أو تنتج بعد الاستقلال لتؤدي دورا تأريخيا للحفاظ على ذاكرة الأمة وتمجيدها لرموز النضال.

وهنا يمكن الإشارة إلى أنه يمكننا القول أن السينما الثورية يقابلها في المفهوم سينما المقاومة والسينما المناضلة والسينما التحريرية وهي مصطلحات تشترك في المعنى والهدف (شاوش، 2022 صفحة 144)

2.2. السينما الثورية في الجزائر

لم تنتظر السينما الجزائرية موعد الاستقلال لكي تظهر، بل ولدت أثناء ثورة التحرير، حيث شكلت الكاميرا توأمة مع البندقية على كتف النضال ضد الاستعمار الفرنسي، فقد أدركت القيادة السياسية بعد مؤتمر الصومام 1956 أهمية حرب الصورة كوسيلة مقاومة وتأثيرها لكسب تأييد دولي يفضح سرديّة الاستعمار التي روج لها منذ الاحتلال عام 1830 على أن الجزائر امتداد لفرنسا .

لقد جرى الاتصال بجمال شندرلي من طرف صالح الوانشي الذي كان يوجد آنذاك باتحادية فرنسا، إنه الرجل الذي أعطى لا محالة زخما ماديا لإرادة قادة الثورة الجزائرية في استخدام السينما كسلاح في المعركة السياسية (بجاوي، 2014 صفحة 61) بدأت السينما الجزائرية بكاميرتين حملهما جمال شندرلي ليجوب جبال الولاية الثانية في ديسمبر 1956، حيث التقط أولى الصور الجزائرية للثورة والتي كانت مادة وثائقية استغلّت لاحقا في عدة أفلام.

لقد واجه الفن السابع الجزائري عدة عراقيل بحكم الوضع الاستعماري القائم وغياب مختصين في المجال لكي يتم إنتاج أعمال سينمائية قادرة على مجابهة الدعاية الفرنسية، حيث أنتجت الإدارة الاستعمارية عشرات الأفلام التي تخدم إيديولوجيتها، إلى " أن التحق بالثورة شاب من جنسية فرنسية، لكنه مؤيد للقضية الجزائرية هوروني فوتي، كان ذلك سنة 1956، بجبال الأوراس، ثم التحق به مجموعة من السينمائيين الأجانب هم يبار كليمون، وسيسيل ديجوكس، وستيفان لابودفيتش، يضاف إليهم الدكتور شولي (وزناجي، 2014 صفحة 39)

هذه المجموعة شكلت مدرسة خاصة لتكوين السينمائيين في جبال الأوراس، وكان روني فوتيه يشرف على تلقينهم أبجديات العمل السينمائي خاصة التصوير، علما أن عملية تحميم الأفلام كانت تقام في يوغسلافيا وألمانيا الشرقية، حيث تم استغلال البلدان الاشتراكية للترويج إلى القضية الجزائرية من خلال عدد من الأفلام الوثائقية.

كانت وظيفة الأفلام التي ظهرت في هذه الفترة الزمنية، أي إبان الثورة التحريرية نضالية ودعائية وجاءت بممكّنات التعبير المباشر والواقعي بقيادة مجموعة من المخرجين من بينهم رونيه فوتيه وجمال شندري ومحمد لخضر حامين وأحمد راشدي.. فالأمر لا يعلّق هنا بثمّيل الأحداث وتاريخ حرب التحرير بالمتعة والفرجة الفنية بل كانت غايتهم استعمال أنماط التمثيل والتأثيرات البصرية للتعبير عن الأيديولوجية المتأصلة في ثقافة جبهة التحرير الوطني والشعب الذي يبحث عن الاستقلال والتحرر انطلاقاً من الواقع المرجعي والحقيقي (شاوش، 2022 صفحة 19)

من الأفلام التي تم إنتاجها في عام 1957 نجد ثلاثة أعمال سينمائية هي " مدرسة التكوين في السينما" و " ممرضات جيش التحرير" والهجوم على مناجم الونزة"، وتلاها اللاجئين من إخراج سيسيل دو كوجيس والجزائر ملتبة، وساقية سيدي يوسف لرونيه فوتيه و" اللاجئين" لبيار كليمون الذي أنجز عام 1958. (وزناجي، 2014)

مع تشكيل الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية في سبتمبر 1958، بقيادة فرحات عباس، أدركت القيادة السياسية أهمية السينما كسلاح ناعم موازٍ للبندقية، خاصة في كسب الدعم الدولي للقضية الجزائرية.

وبناءً على هذا التصوّر، تم إنشاء مصلحة خاصة بالسينما ضمن هيكلية الحكومة المؤقتة، ثم تأسيس مصلحة السينما التابعة لجيش التحرير الوطني، والتي تولّت مهمة التوثيق والتعبئة الإعلامية.

ومع ذلك، لم تكتفِ القيادة السياسية بهذه الخطوة، بل قرّرت إيفاد مجموعة من الشباب الجزائريين للتكوين السينمائي في بلدان أوروبا الشرقية، وتحديدًا في ألمانيا الشرقية، يوغوسلافيا، وتشيكوسلوفاكيا، بهدف إعداد كوادر فنية جزائرية مؤهلة لنقل الرواية الوطنية بالصورة والصوت.

ومن بين هؤلاء: محمد لخضر حمينة، أحمد راشدي، علي يحيى، وآخرون ممن سيشتغلون لاحقًا نواة السينما الجزائرية الثورية بعد الاستقلال.

كان من نتائج هذا التكوين أن ساهم محمد لخضر حمينة بعد عودته في إخراج أفلام : جزائرننا، وبنادق الحرية وصوت الشعب وياسمينه وكلها كانت في عام 1961 ومع سينمائيين آخرين سنتطرق إليهم لاحقا (Hamina، 2012)

3. محمد لخضر حمينة

يعتبر محمد لخضر حمينة (مصور، مخرج، ممثل) من الرعيل الأول للسينمائيين الجزائريين الذين حملوا هم القضية الجزائرية عن طريقة المقاومة الناعمة، ولد عام 1930 بولاية مسيلة، وقد دخل عالم السينما بالمصادفة عندما رفض المخرج الفرنسي الكبير كوينتو كوكو أن يلمس حمينة (الطفل) كاميراته ،وهو ما دفعه للاجتهاد من أجل دخول عالم صناعة الفن السابع.

تأثر لخضر حمينة بأفلام الوستن في طفولته وهو ما جعل شغفه السينمائي يكبر شيئا فشيئا ، ومع إدراكه لقوة الصورة التحق بالجبال مجاهدا من أجل أن يمنح الثورة الجزائرية بعدا كبيرا بحجم الشاشة كما جاء في حوار المصور مع مؤسسة جيزي. في عام 1959 قررت جبهة التحرير الوطني إرساله ضمن بعثة علمية إلى مدينة براغ بتشيكسلوفاكيا لمواصلة دراسته في السينما، غير أنه لم ينقطع عن الجزائر، حيث كان يزور تونس بشكل دوري من أجل صناعة أفلام سينمائية لصالح الثورة رفقة جمال شندرلي (يومية الشعب، 2025)

قدم الراحل أثناء الثورة التحريرية أعمالا سينمائية مهمة منها : ياسمنية، بنادق الحرية وفيلم صوت الشعب الذي أظهر فيه صورا حقيقية التقطها في ميدان المعركة كادت أن تؤدي بحياته بعد إطلاق جيش الاستعمار الفرنسي عليهم الرصاص عند خط مورييس. تدرس محمد لخضر حمينة في الصناعة السينمائية إلى روني فوتيه، وجمال شندرلي وبيير شولي حيث جمعهم أعمال سينمائية شكلت دفعا قويا للثورة الجزائرية في الخارج.

بعد الاستقلال واصل حمينة إخراج الأفلام الثورية فقدم فيلم ربح الأوراس عام 1966 وكاد الفيلم أن يحصد السعفة الذهبية لولا أن صديقه المخرج السنغالي عثمان صوت

ضد الفيلم، ثم قدم رؤية جديدة للثورة عن طريق فيلم كوميدي حمل عنوان حسان طيرو (1968) من بطولة الممثل أحمد عياد المعروف برويشد، ليعود عام 1972 بفيلم ديسمبر الذي لم يخرج عن ثيمة الثورة وبشاعة الاستعمار الفرنسي، لكنه أبدع في رائعته المشهورة " وقائع سنين الجمر " عام 1974 حيث حصد الفيلم جائزة السعفة الذهبية ليكون أول فيل عربي وأفريقي يتوج بهذه الجائزة إلى غاية كتابة هذه الأسطر.

تقلد محمد لخضر حمينة منصب مدير مدير الديوان الوطني للسينما والصناعة السينماتوغرافية ما بين 1981 – 1984 حيث أخرج في هذه الفترة عملين سينمائيين بعنوان ربح رملية والصورة الأخيرة، لكن آخر عمل سينمائي ختم به المناضل السينمائي حمينة هو فيلم غروب الظلال عام 2014.

رفض المخرج الراحل أن يكون عضوا في لجنة التحكيم بمهرجان كان السينمائي، بحجة أنه كان يستحق أن يقلد رئيسا للجنة لا عضوا فيها، خاصة وأن جميع المخرجين الذين تحصلوا على السعفة الذهبية تم تقليدهم هذا المنصب، وهو ما اعتبره صاحب التحفة السينمائية وقائع سنين الجمر إجحافا في حق تاريخه السينمائي.

رحل محمد لخضر حمينة يوم 23 ماي 2025 عن عمر ناهز 95 عاما تاركا خلفه ذاكرة فنية وأسلوب سينمائي متفرد يعكس عبقرية مخرج لم يكن يقدم فيلما سينمائيا بل كان يكتب التاريخ.

1.3. الأعمال السينمائية لمحمد لخضر حمينة

1.1.3. جزائرينا:

ساهم في إخراج هذا الفيلم الوثائقي الدكتور بيار شولي و جمال شندرلي ومحمد لخضر حمينة وروني فوتيه وكان ذلك عام 1961 حيث أنتجته مصلحة السينما التابعة للحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية، ويعد هذا الوثائقي أول عمل سينمائي من طرف الحكومة المؤقتة يسعى إلى إبلاغ المجتمع الدولي بأهداف المقاومة الجزائرية .

اعتبر جزائرنّا أول نموذج مرئي للتعبئة السياسية حيث اعتمد على أشرطة صورت أثناء المعارك قاما بتصويرها سابقا روني فوتيه و بيير شولي وأيضا "جمال شندرلي بجمال الولاية الثانية في ديسمبر 1956، بعد أن تكفل به رفقة طاهر بودريالة ليلتقط آنذاك أولى الصور الجزائرية للثورة" (بجاوي، 2014 صفحة 63)، في حين قام محمد لخضر حمينة وجمال شندرلي بتحرير المادة الوثائقية وتحويلها إلى عمل سينمائي.

العمل جاء بفكرة أيديولوجية جماعية تقاطعت مع مبادئ حرب التحرير الوطني، استبعدت فيها كل آليات التعبير القائمة على الخلفية التي تؤطر الجانب الفكري والمعرفي والأيديولوجي للمخرج (سينما المخرج) (شاوش، 2022 صفحة 22)

يحمل عنوان الفيلم جزائرنّا دلالة سياسية حيث يؤكد ملكية الجزائري لأرضه ليكون ردا قويا على مزاعم فرنسا التي اعتبرت الجزائر جزءا من فرنسا فيما عُرف بـ الجزائر فرنسية ، كما أن نون الجماعة "نا" يرمز إلى وحدة الأرض والانتماء المشترك بعيدا عن أي انتماء أجنبي آخر.

العنوان أيضا مستوحى من النشيد " جزائرنّا " الذي كان يردده المجاهدون في الجبال وهو من كلمات الشاعر محمد الشبوكي وتلحين محمد الربيعي، واعتبر هذا النشيد حافزا معنويا للمجاهدين خاصة وأنه يبرز قوة الجزائريين في التصدي للاحتلال.

مدة هذا الفيلم الوثائقي 25 دقيقة وقد صور بالأبيض والأسود وجاء تعليق المصاحب له باللغة العربية (وزناجي، 2014 صفحة 61)

2.1.3. بنادق الحرية :

أنتج الفيلم الوثائقي "بنادق الحرية" عام 1961 من طرف مصلحة السينما التابعة للحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية، وكان من إخراج جمال شندرلي ومحمد لخضر حمينة وكتب سيناريو هذا الفيلم القصير (20 دقيقة) سارج ميشال وقرأ نص التعليق أيضا.

يروي فيلم بنادق الحرية في 20 دقيقة الصعوبات التي كان يواجهها جيش التحرير الوطني أثناء عملية نقل السلاح من تونس إلى الجزائر مروراً بالصحراء الجزائرية، خاصة وأن الطريق كان مفروشا بمختلف القنابل المضادة للأفراد والحواجز العسكرية الفرنسية التي كانت تترصد كل حركة تأتي من الحدود الشرقية للجزائر.

3.1.3. صوت الشعب :

هو ثاني عمل سينمائي يخرج به محمد لخضر حمينة مع جمال شندرلي بعد عام من إنتاج فيلم " جزائرينا " وهو من نوع الوثائقي الروائي ومدته الزمنية عشرون دقيقة. ركز العمل على تقديم رسائل وطنية للداخل، تمثلت في تذكير المواطنين بأن "معركة التحرير الوطني بدأت فعلاً قبل سنة 1954 بكثير" (وزناجي، 2014 صفحة 63) لقد أظهر المصور محمد لخضر حمينة شجاعة كبيرة أثناء تسجيل هذا الفيلم، حيث يقول في حوار له أن الصور التي تظهر مهاجمة الجيش الفرنسي لوححدات من أفراد الجيش التحرير الوطني التقطها بنفسه، وأنه رغم القصف المستمر بالقنابل والرصاص إلا أنه تمسك بالكاميرا التي سجلت لحظات استثنائية في وقت كان حمينة ينتظر استشهاده عند خط موريس.

4.1.3. ياسمينه

ثالث فيلم يخرج به محمد لخضر حمينة رفقة جمال شندرلي حمل عنوان " ياسمينه " كان ذلك عام 1961، الفيلم جاء في 20 دقيقة وبالأبيض والأسود وكان من إنتاج مصلحة السينما التابعة للحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية.

يصور الفيلم قصة فتاة صغيرة تدعى ياسمينه تائهة مع دجاجتها تسير إلى غاية الحدود الجزائرية التونسية للالتحاق بذويها بعد تدمير قريتها تحت القنابل (الراشد، 2014 صفحة 40) ، تسارع ياسمينه وهي تحمل دجاجتها للصعود إلى الجبل بحثاً عن عائلتها حافية القدمين رغم الجوع والخوف، وفي القرية تلتقي مع والدتها حيث يجتمع الساكنة ويلتفون حولها، ثم يقومون ببناء كوخ لهما بينما تجهز نسوة القرية الفراش والحطب، في

رمزية تضامنية كبيرة، ورغم ظروف الحرب واللجوء يعمد المخرجان حمينة وشندرلي إلى تصوير ياسمينية وهي تلتحق بالمدرسة القرآنية لتعلم القراءة والكتابة رفقة أقرانها في القرية وهي إشارة منهما إلى مكانة العلم لمحاربة الاستعمار مستقبلا.

5.1.3. لحظة صورة

يعتبر فيلم "لحظة صورة" أول عمل سينمائي أخرجه محمد لخضر حمينة بمفرده عام 1964، بل وقام بتصويره أيضا، هذا العمل الروائي الذي أنتجه ديوان الأحداث الجزائرية OAA جاء في نسختين، الأولى مدتها 26 دقيقة وهي خاصة بالتلفزيون، والثانية جاءت في 40 دقيقة وهي نسخة موجهة للسينما.

شارك في كتابة السيناريو إلى جانب محمد لخضر حمينة الممثل توفيق فارس، وقد أدى دور البطولة كلا من إسماعيل لخضر حمينة وثاتية تيمقاد.

فيلم " لحظة صورة " هو عمل خيالي يروي قصة شاب مجاهد يدعى لخضر أثناء أتون حرب التحرير، يتخيل حدوث هدنة مفاجئة بين جيش التحرير الوطني والاستعمار الفرنسي، فيطلق العنان لخياله من أجل لقاء مع حب مع فتاة، لكن الأجواء الغرامية سرعان ما تغصها عليه أصوات الرصاص لتذكره بأن الحرب لم تنته بعد.

أجمع النقاد أن فيلم "لحظة صورة" للمخرج محمد لخضر حمينة يعتبر نقلة نوعية في السينما الجزائرية، حيث يعد أول فيلم خيالي يصوره حمينة عن الثورة الجزائرية.

6.1.3. فيلم ربح الأوراس 1966

أظهر المخرج محمد لخضر حامينة براعة كبيرة في فيلم ربح الأوراس الذي تم إنتاجه عام 1966 من طرف المركز الوطني للسينما CNC، والديوان الوطني للتجارة والصناعة السينمائية ONCIC، وقد استقبل الفيلم بإشادة نقدية واسعة في فرنسا والإتحاد السوفياتي والمغرب، حيث تم تكريم هذا العمل السينمائي في " كان بجائزة أول عمل سينمائي عام 1967 وبجائزة أحسن سيناريو في بمهرجان بموسكو في نفس العام أين رأى فيه السوفييات إشادة بوالدة بودوفكين " كرمزية للألم البطلة في السينما السوفياتية

(بجاوي، 2014 صفحة 115). كما حصد الفيلم جائزة الغزال الذهبي في مهرجان طنجة بالمغرب عام 1968، (بلية، 2018 صفحة 13) ويشار إلى أن لخضر حمينة كاد أن يتوج بالسعفة الذهبية في مهرجان كان عام 1967 لولا أن المخرج السنغالي "عثمان صانبان" صوتَ ضد فيلم "ريح الأوراس" الذي يعتبر أول فيلم عربي سار طاقمه على سجاد كان السينمائي.

كتب سيناريو الفيلم كل من محمد لخضر حمينة وتوفيق فارس، وأدت دور البطولة الممثلة عائشة عجوري المعروفة بالاسم الفني " كلتوم" إلى جانب الممثل حسن الحسني ومحمد شويخ في أول ظهور له على الشاشة، إضافة إلى مشاركة الممثلة ثانياة تيمقاد. يركز محمد لخضر حمينة على المجتمع الريفي في الجزائر ليبرز دوره في مكافحة الاستعمار الفرنسي، حيث أن رجال القرية يذهبون صباحا إلى خدمة الأرض، ثم يعدون مساء ليشكلوا جبهة إسناد للمجاهدين مساءً، في خضم هذا التقديم يسلط حمينة الضوء على عائلة ريفية فككها الاستعمار الفرنسي بقتل الأب (أدى دوره حسن الحسني) لتواصل الزوجة (صاحبة الدور عائشة عجوري) وابنها الحياة قبل أن تكتشف بأن ابنها (عيسى) انظم الى المجاهدين وهو ما عرضه للاعتقال من طرف جيش الاحتلال الفرنسي. وهنا تبدأ معاناة الأم التي تخرج بحثا عن ابنها في معسكرات الاعتقال وهي تحمل قفة ممزقة ملأتها بحلم لقاء ابنها ودجاجة تقاسمت معها الخوف، هذه هي الصورة التي استطاع لخضر حمينة ترسيخها في ذاكرة الأجيال، فن يذكر الممثلة كلتوم يعيد إلى ذهنه هذا المشهد الذي يعتبر أيقونة سينمائية جزائرية خالدة.

7.1.3. حسن طيرو

بأسلوب كوميدي عالج محمد لخضر حمينة جزءا من الثورة التحريرية في فيلم حسان طيرو بطولة الممثل أحمد عياد المعروف بدرويشد، وعائشة عجوري المعروفة فنيا بـ كلتوم، والقامة السينمائية والمسرحية حسن الحسني، و الممثل العربي زكال، هذا الفيلم

الذي كان بطلب من الرئيس الراحل هواري بومدين - بعد مشاهدته لمسرحية قدمها رويشد - تم إنتاجه عام 1968 من طرف وكالة الأحداث الجزائرية OAA. يصف الناقد السينمائي فيلم حسن طيبرو بالجريء نظرا للرسائل التي وظيفها محمد لخضر حمينة في تقديم فيلم يروي قصة إضراب ثمانية أيام الذي حدث عام 1957، حيث طلب أحد أفراد جبهة التحرير الوطني من "حسان" أن يأوي فدائي يبحث عنه جيش الاستعمار الفرنسي، لكن الجبن الذي يسكن حسان هو الذي سيزيد عنصر التشويق، ليأتي اليوم الذي طاردت فيه وحدات من الجيش الفرنسي رجلا فدائيا لم يجد سوى بيت "حسان" فدخل واختبأ في مكان سري، إلى أن جاءت دورية عسكرية تفتش البيت، لم يعثر الجنود على الفدائي لكنهم عثروا على مسدسين اتخذهم الجنود حجة لاعتقال "حسان" بتهمة حيازته على سلاح قد يكون خاص لمن تصفهم بالإرهابيين.

8.1.3. فيلم ديسمبر

بطاقم تقني أجنبي (سيناريو، مدير الإنتاج، التصوير، الموسيقى، التركيب) أخرج محمد لخضر حمينة فيلم ديسمبر الذي تم إنتاجه من طرف ديوان الأحداث الجزائرية OAA، وتلسيا فيلم الفرنسية Telcia Films ، وشارك فيه سيدي علي كويرات، عائشة عجوري (كلتوم)، حسن الحسني، ج.س.بارك.

الفيلم الذي وقعه المخرج في 120 دقيقة يعالج قصة مجاهد تعرض إلى تعذيب وحشي من طرف وحدة خاصة بالجيش الفرنسي (الجنود المظليين)، بحثا عن معلومات تساعد على الإيقاع بعناصر أخرى من أفراد جيش التحرير الوطني.

الفيلم عبارة عن وثيقة تاريخية تدين الاستعمار الفرنسي وتفضحه أمام العالم من خلال السينما، ويبرز أيضا الصبر الذي واجه به الشعب الجزائري جلاده رغم فظاعة أساليب التعذيب.

منعطف الفيلم يحدث عندما يستفيق ضمير أحد الضباط وهو يشاهد عملية التعذيب الوحشية داخل مكتب الجنود المظليين، حيث يتعاطف مع المجاهد الذي يتم تعذيبه وهو يتساءل هل الغاية تبرر الوسيلة؟ ويكرز الفيلم أيضا على الانتصار السياسي الدولي الذي حققته الجزائر في تلك الأثناء وهذا بتدويل القضية الجزائرية في جدول أعمال الأمم المتحدة، فضلا عن التحضيرات التي كان يقوم بها الشعب الجزائري للقيام بمظاهرات 11 ديسمبر 1960. ولهذا جاء العنوان الفيلم "ديسمبر"

9.1.3. وقائع سنين الجمر

يعد فيلم وقائع سنين الجمر من أهم الأعمال التاريخية التي تحكي عن الثورة الجزائرية، حيث تم انتاجه عام 1974 من طرف الديوان الوطني للتجارة والصناعة السينمائية ONCIC، هذا الفيلم الذي أخرجه محمد لخضر حمينة وهو نفسه الذي كتب له السيناريو رفقة توفيق فارس إلا أن بعض المصادر تشير إلى مساهمة الروائي رشيد بوحدة في كتابته (ربيعي وزاوي بوزادي ، 2022 صفحة 200)، إفتك الجائزة الكبرى في مهرجان كان السينمائي عام 1975 ليكون الفيلم العربي والأفريقي الوحيد الذي يفوز بالسعفة الذهبية إلى غاية اليوم.

وضمن لغة فيلميه عالية المستوى قدم المخرج ست لوحات تمتد زمنيا من عام 1939 إلى غاية 1 نوفمبر 1954 ركز فيها على الأرض والظروف التي أدت إلى اندلاع الثورة التحريرية عن طريق البطولة الجماعية للشعب الجزائري.

أدى محمد لخضر حمينة دور البطولة من خلال تقمصه شخصية "ميلود" وهو درويش وظفه المخرج ليقول على لسانه الشعر والحكمة وفن القوال وهي العناصر التي جعلت الفيلم ينبض بالتراث الشعبي، وهي عادة حمينة في الكثير من أفلامه.

شارك في الفيلم إلى جانب محمد لخضر حمينة، العربي زكال، حسن الحسني، يحي بن مبروك، كلثوم، طه العامري عبد الحليم رايس، إبراهيم حجاج ، شيخ نوالدين فرانسوا

ما يستر

10.1.3. فيلم غروب الظلال

بعد غياب دام 28 عاما عاد المخرج محمد لخضر حامين لصناعة آخر فيلم له بعنوان " غروب الظلال " قال يومها في الندوة الصحفية التي أعقب عرض الفيلم بقاعة الموقار وسط الجزائر العاصمة إنه قصة حقيقية تعكس نضال الشعب الجزائري في نيل الحرية، هذا العمل السينمائي يحكي قصة ثلاث شخصيات محورية هي شخصية خالد المجاهد الجزائري الذي كان يدرس في فرنسا وعاد إلى الوطن مجاهدا، والرائد الفرنسي سانتوناك الذي يؤمن بفكرة الجزائر فرنسية، بالإضافة إلى شخصية " لامبير " وهو جندي فرنسي يمثل الضمير الإنساني حيث أن التحاقه بالخدمة العسكرية في الجنوب الجزائري سيشكل انعطافا للقصة.

تدور أحداث الفيلم في الصحراء الجزائرية حيث يمتنع " لامبير " في قتل خالد، ويتمرد على قائده مما يمنح لخالد فرصة الحياة بعد أن كان قاب قوسين أو أدنى من قتله في عرض الصحراء الجزائرية.

الفيلم بعد مشاهدتي له أكثر من مرة يتجلى فيه البعد الفلسفي حيث يعالج لخضر حمينة حوار الثقافات والأديان بين مجتمع عربي مسلم والآخر مجتمع غربي مسيحي، ومن خلال مشاهد يعرضها أثناء الرحلة الشاقة للثلاثة في الصحراء، تجعلهم الظروف يتجاوزون الحواجز الإيديولوجية والدينية لتحولوا من أعداء إلى أفراد يساعدون بعضهم البعض للوصول إلى بر الأمان في إشارة إلى إعلاء قيمة الإنسان عن كل الحسابات.

رشح فيم غروب الظلال لجائزة أفضل فيلم أجنبي بمسابقة الأوسكار، لكنه لم يتمكن من الدخول في القائمة القصيرة خاصة وأن العمل تم محاربته من طرف اللوبي الفرنسي الذي وقف حاجزا أمام انتشاره في دور العرض السينمائية، وبذلك تكون آخر محاولة سينمائية للمخرج المخضرم في صناعة الأفلام.

حظيت الأفلام السالفة الذكر باهتمام النقاد والباحثين في السينما عكس العاملين السينمائيين اللذين وقعهما المخرج محمد لخضر حاميّة في الثمانينات والأمر يتعلق بفيلم "رياح رملية" الذي أخرجه عام 1982، حيث عالّج فيه معاناة سكان الصحراء مع ندرة المياه والعواصف الرملية ونتائج تلك المعاناة التي كانت تنعكس سلبا على الأسرة الجزائرية التي يكون مآلها التفكك.

يقول محمد لخضر حمينة : لا يوجد فيلم أخرجه إلا أتحدث فيه عن الماء أو المجاعة، إلى درجة أن أصبح ذلك هاجسا بالنسبة لدي (بلية، 2018 صفحة 54)، العمل السينمائي الذي شارك به في مهرجان كان السينمائي عام 1983 خارج خاوي الوفاض، ولم يتوقف الأمر هنا بل مُنع الفيلم من عرضه في دور السينما الجزائرية، وفي هذا الشأن قال حمينة في أحد حواراته عن أسباب المنع: السفراء العرب بفرنسا اجتمعوا بالسفير الجزائري، وطلبوا منه العمل على سحب الفيلم من العرض، لأنه يتعارض مع التقاليد العربية، استغربت كثيرا للأمر لأنني لم أنقل سوى الواقع المر الذي تعيشه المرأة الجزائرية بصفة خاصة والعربية بصفة عامة (قادري، 2025).

أما الفيلم الثاني فعنوانه " الصورة الأخيرة" والذي تم إنتاجه عام 1986، وتدور قصته بين معلمة يهودية فرنسية وطفل جزائري وقع في حبها عندما كان تلميذا، هذا الطرح كلفه مقص الرقيب الذي منع عرض الفيلم في قاعات السينما الجزائرية خاصة وأن الفيلم كان انتاجه فرنسيا والممثلون من مشاهير السينما الفرنسية مثل فيرونيك جارو وميشال بوجناح مما جعل المشاهد أمام إنتاج فرنسي أكثر منه جزائري (بلية، 2018 صفحة 57)، وهي معطيات تجعل الفيلم موجها إلى المشاهد الغربي أكثر من الجزائري العربي المسلم، وهو ما جعل خطابه السينمائي منبوذا من طرف الجزائريين الذين لم يتعودوا بعد على هكذا قصص ومشاهد في السينما الجزائرية، خاصة من عند مخرج تعود جمهوره الجزائري على رؤية ثيمة الثورة والتاريخ في أفلام حاميّة.

4. خاتمة:

تظهر تجربة المخرج محمد لخضر حامين ثرية ومتنوعة، حيث لا يكرر نفسه في مختلف التجارب التي خاضها منذ حرب التحرير، وظل متشبثا بالأرض في الكثير من أعماله خاصة الصحراء التي لم يجعلها ديكورا طبيعيا صامتا فحسب بل وظفها لتكون عنصرا دراميا ورمزيا يحمل أبعادا فلسفية وسياسية وامتدادا للروح الجزائرية، ومن خلال دراستنا لتجربته السينمائية نستخلص ما يلي

- 1- يعد محمد لخضر حامين فنانا متكاملا، حيث نجده في الكثير من أعماله مصورا ومخرجا وممثلا كما كان الحال في أفلامه الوثائقية أثناء الثورة أو من خلال فيلم وقائع سنين الجمر في دور الميلود وغروب الظلال في دور سي لخضر.
- 2- البطل في أفلام محمد لخضر حامين هو الرجل، حيث تظهر المرأة في أدوار ثانوية إلا في ثلاثة أفلام هي " ياسمينة" الذي كان عام 1960، وفيلم ربح الأوراس 1966، حيث ظهرت الممثلة عائشة عجوري المعروفة فنيا باسم كلثوم، لكن بدون اسم معروف في الفيلم. وفيلم رياح رملية عام 1982.
- 3- لقد حاز محمد لخضر حامين على السبق في صناعة فيلم ثوري بأسلوب كوميدي، مكسرا تلك القوالب المعروفة عن الأفلام الثورية الجزائرية.
- 4- القاسم المشترك في الكثير من أفلام حامين نجده يشير إلى الماء والصحراء، بدليل أن خاتمة باكورة أعماله السينمائية كانت في الصحراء، حيث أجمع النقاد أنه أحسن تصوير هذا الفضاء الذي يشكل الجزء الأكبر من الجزائر.
- 5- الفيلم الذي اعتبره حامين أفضل أعماله (غروب الظلال) لم ينل الاعتراف، ومنع من المشاركة في مهرجان البندقية، ولم يدخل القائمة القصيرة لجائزة أفضل فيلم أجنبي في مسابقة الأوسكار

- 6- وظف المخرج لخضر حمينة الضمير الفرنسي الحي مرتين في أفلامه: الأول كان في فيلم ديسمبر والثاني في فيلم غروب الظلال، الذي لم يكن محاولة لإدانة فرنسا بقدر ما هو دعوة للجيل الجديد لمحاولة نسيان أحقاد الماضي.
- 7- يحتفظ محمد لخضر حمينة بالتفرد العربي والأفريقي في نيل السعفة الذهبية منذ عام 1975 وإلى غاية كتابة هذه الأسطر، وقد احتفى مهرجان كان في طبعة 2025 باليوبيل الذهبي لتتويج فيلم وقائع سنين الجمر حيث أعاد عرضه، وقد تزان ذلك مع رحيل محمد لخضر حمينة
- 8- بعد خمسين عاما من التتويج بالسعفة الذهبية، تتساءل عائلة لخضر حمينة عن مصيرها، فبعد أن أهداها المخرج للرئيس الراحل الهواري بومدين، لم يعد لها أثر، بدليل أن حرم الرئيس الراحل السيدة أنسية بومدين قالت لعائلة لخضر حمينة إنها لم تعثر عليها ضمن هدايا الرئيس.

5. قائمة المصادر والمراجع:

1. أحمد بجاوي. (2014). *السينما وحرب التحرير الجزائرية*، معارك الصورة. (مسعود جناح، المترجمون) الجزائر: منشورات الشهاب.
2. بغداد أحمد بلية. (2018). *مخرجون وسينما جزائرية*. الجزائر: البدر الساطع للطباعة والنشر.
3. جمال شعبان شاوش. (2022). *كتاب السينما الجزائرية من السرد الوثائقي الى الخطاب التأويلي معطيات، مسارات، تساؤلات*. الجزائر: النشر الجامعي الجديد.
4. عبد الغني مغربي. (2022). *المرأة المروضة، السينما الجزائرية عبوة الماضي وخبرة الحاضر، دراسة سوسيولوجية*. (الأزهر بوغمبوز، المترجمون) الجزائر: دار التنوير للنشر والتوزيع.

5. فهد سالم خليل الراشد. (2014). *الرموز والرمزية في السينما الجزائرية قراءة في لغة المشهد*. الكويت: دار الجائزة.
6. مراد وزناجي. (2014). *الثورة التحريرية في السينما الجزائرية 1957-2012 دراسة تحليلية وتوثيقية للأفلام السينمائية الجزائرية*. الجزائر: دار الأمة.
7. هالة ربيعي، وفتيحة زاوي بوزادي. (2022، 06 10). المتخيل التراثي بين المسرح والسينما مسرحية سهيل وفيلم وقائع سنين الجمر أنموذجا. آفاق سينمائية، الصفحات 192-206
8. عبد الكريم قادري. (2025، 05 24). محمد لخضر حمينة.. سيد السينما الجزائرية. تم الاسترداد من الجزيرة الوثائقية: <https://doc.aljazeera.net/portrait/2016/6/1>
9. يومية الشعب. (2025، 05 24). محمد لخضر حمينة.. مسيرة حافلة في تاريخ السينما الجزائرية. تم الاسترداد من جريدة الشعب: www.echaab.dz/2025/05/24//:https
10. Lakhdar Hamina. (2012، 03 13). Youtube youtube: <https://www.youtube.com/watch?v=NHL4MGZGICg>